مجلة وعي للعلوم الإنسانية
العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ٢٥٢٥-٢٥٥٥
مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
SN: 3104-9125
SSN:3104-9117

قيس بن الملوح بين حرفي الاستفهام ودلالتهما البلاغية في الخطاب الشعري

Qays ibn al-Mulawwah The relationship between interrogative particles and their rhetorical connotations in poetic discourse

م.م. نورا سعدون كاظم موزان

m.m. noora saadon kadhm

Noorasaadon5@gmail.com

الكلمات المفتاحية:
قيس بن الملوح ــ حروف ــ الاستفهام ــ دلالة بلاغية.

الملخص

لدراسة حرفي الاستفهام ودلالتهما البلاغية في الخطاب الشعري وقفت على الشاعر الغزلي قيس بن الملوح وهذا يحسن الانشغال به عن تيارات الغزل الماجن الفاحش التي أفسدت الساحة الأدبية، فعلى الرغم من كثرة الأساليب الاستفهامية كثرة لافتة في شعره، لكن البحث سيكشف العلاقة الفنية بين الاستفهام والغزل العذري على حد سواء، ويحاول دراسة الاستفهام في شعره لكشف الجواهر المكنونة في النصوص الشعرية من ديوانه؛ فالمنهج البلاغي هو الأقدر على إبراز جماليات النص الشعري، وشاعرنا امتاز وتفنن في تناوله حروف الاستفهام لإثراء البحث البلاغي بدراسة تطبيقية تحليلية تنمي ذوق الباحث وتذكي عقله وتثري معرفته. لأسهم بانجاز بحث فني موضوعي يضاف الى جملة الدراسات التي تناولت هذا الشاعر الأموي.

Keywrds:

Qays ibn al-Mulawwah – interrogative particles – their rhetorical connotation.

Abstract

To study the interrogative particles and their rhetorical significance in poetic discourse I stood up The love poet Qays ibn al-Mulawwah ،This is the performance of being preoccupied with it, instead of being preoccupied with the obscene and vulgar trends that have corrupted the literary scene،Despite the abundance of interrogative styles notably present in his poetry, But the research will reveal the artistic relationship between questioning poetry and chaste love poetry alike He attempts to study the interrogative in his poetry to reveal the hidden gems in the poetic texts of his collection; The rhetorical approach is the most appropriate way to highlight the aesthetics of the poetic text. Our poet excelled in his use of interrogative devices, enriching rhetorical research with an analytical and applied study that cultivates the researcher's taste, refines his thinking, and deepens his knowledge. This contributes to an objective and artistic study that adds to the body of research that has addressed this Umayyad poet.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أل بيته الطيبين الطاهرين أما بعد.

اخترت قيس بن الملوح لدراسة حرفي الاستفهام ودلالتهما البلاغية في الخطاب الشعري، فهو شاعر غزلي عذري معروف وشعره له التأثير الكبير في الأدب العربي والأدب الفارسي والتركي، و الهندي. الشاعر قيس بن الملوح من شعراء العصر الأموي، وقفت على ديوانه الشعري ووجدت اساليب بلاغية في غاية الروعة والفنية والجمالية باسلوب استفهامي واضح بشقيه التصوري والتصديقي . وأن أساليب الاستفهام ذات قيمة فنية عظيمة ؛ لأنها تخلق في العمل الأدبي ثنائية وحركة تجعله يقترب من مستوى التعبير الدرامي الذي هو صورة من صور التعبير الأدبي . سيقتصر البحث على دراسة الاستفهام بالحروف لأسهم بانجاز بحث فني موضوعي يضاف الى جملة الدراسات التي تناولت هذا الشاعر الاموي. بدءا من التمهيد حول الحروف الموضوعة للاستفهام في اللغة من ناحيتي العدد والأصالة، و انزياح الاستفهام عن الغرض الأصلي، وما رأي البلاغيين فيه، ثم أبرز المعاني البلاغية التي تخرج إليها همزة الاستفهام في التراث العربي، والانتقال الى أبرز المعاني البلاغية التي تخرج إليها حروف الاستفهام عند قيس بن الملوح، ثم اي

الحروف تتصدر وروداً في الخطاب الشعري عند قيس بن الملوح، وانتهاءً بابرز المضامين الشعرية التي تناولها الشاعر بصيغة الحروف الاستفهامية واخلص الى قائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد

- **تعريف الاستفهام**

اَلاسْتِخْبَارِ هو المعنى المباشر لِلاسْتِفْهَام ، الا ان ثمة مِنْ يَرَوْنَ أَنَّ هناك فَرْقًا بَيْنَ اَلاسْتِفْهَامِ وَاَلاسْتِخْبَارِ ، وَهُوَ أَنَّ اَلاسْتِخْبَارَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى اَلاسْتِفْهَامِ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَسْتَخْبِر فَتُجَاب بِشَيْءٍ ، فَرُبَّمَا فَهِمْتَهَ وَرُبَّمَا لَمْ تَفَهَّمِهِ فَإِذَا سَأَلْتَ عَنْهُ تَقُولُ : أَفْهَمَنِي مَا قُلْتُهُ لِي [١] .

وينبري هنا اِبن مَنْظُور: " اَسْتِفْهَمَهْ : سَأَلَهُ أَنْ يَفْهَمَهُ . وَقَدْ اَستَفَّهَمْتِي اَلشَّيْءِ فَأَفْهَمَتْهُ وَفَهِمَتْهُ تَفْهِيمًا" [٢] وقد أدرج العلماء على أن الاستفهام بمعني طلب الفهم بناءً على المعنى اللغوي، وليس ثمة من خالفهم في ذلك قديما وحديثا، وأما كون الاستفهام بمعنى الاستخبار، ومنهم من يرى أن الاستفهام ليس بمعنى الاستخبار، ومنهم من يرى أن الاستفهام مسبوق بالاستخبار كما أشار ابن فارس إلى ذلك، وأما الذي أراه فهو أن هناك فرقا بين الاستفهام والاستخبار لغويا، فالفرق فيه خلاف بين العلماء، منهم من يرى بينهما كالفرق بين الفهم والخبر.

غيرأن السيوطي أضاف جديداً فيرى أن الاستفهام يدل على طلب الفهم فحسب، بل يقول السيوطي في ثنايا بمعنى أنه يفيد طلب الإفهام [٣]، و حديثه عن الهمزة: أن "الاستفهام حقيقته طلب الإفهام" كما يدل على طلب الفهم؛ لأنه ليس في كلامه ما يشعر بأنه ينكر دلالة الاستفهام على طلب الفهم، علماً أن ابن فارس جعل

---

١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ١٨٦، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ) -١٩٩٣م.

٢) لسان العرب: ١٠/٣٤٣، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ) -١٩٩٧م-

٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/٣١٠، جلال الدين عبد الرحمن أبوبكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ) -١٩٩١م.

الإفهام من المعاني التي يخرج إليها الاستخبار كالتعجب والتفجع والتقرير إذ يقول: "ويكون استخباراً والمراد به الإفهام نحو قوله جل ثناؤه:((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى))[١] قد علم الله أن لها أمراً قد خفي على موسى (عليه السلام)، فأعلمه من حالها ما لم يعلمه [٢].

وقيل: "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة" [٣].

ويقف البحث على ان الاستفهام نوعان: حقيقي وهو الذي يطلب فيه المستفهم جوابا على سؤاله، أما النوع الثاني فيسميه بعض الدارسين الاستفهام المجازي (الاستفهام البلاغي) وهو الذي لا يطلب فيه منشئه جوابا على استفهامه فهو إفهام في صورة استفهام"[٤].

ويذهب السكاكي: للاستفهام كلمات موضوعة وهي: الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة أعني كسر همزتها تقوي أيا أن يكون أصلها أي أو أن [٥]. بمعنى ان استفهام أدوات خاصة به في وضع اللغة، فمنها الأسماء والحروف، وليس هناك فعل موضوع للاستفهام في الوضع اللغوي.

ويقول الخطيب القزويني: ومنها الاستفهام (أي من أنواع الإنشاء الطلبي كالتمني والأمر والنهي والنداء) وألفاظه الموضوعة له الهمزة، وهل (وهما الحرفان الموضوعان للاستفهام)، وما، من، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأني، ومتى، وأيان (وهي الأسماء الموضوعة له) [٦].

---

١) سورة طه: الآية ١٧

٢) ينظر: الصاحبي : ١٨٧

٣) علم المعاني: عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ) /١٩٨٥م، ٨٨.

٤) البلاغة العربية: ١٥٦، أ. د. د. حسني عبد الجليل يوسف، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، -٢٠١٢م.

٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٠٨ للسكاكي.

٦) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: ١٥٣، للخطيب القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

فالملاحظ هو إسقاط الخطيب لحرف" أم " من حروف الاستفهام إذ أورد السكاكي حرف" أم" ولم يذكره الخطيب، وأميل إلى رأي الخطيب في هذه المسألة بناء على مذهب سيبويه في أن (أم) بمعنى الهمزة وأرى أنه لا مسوغ لذكرها مع أدوات الاستفهام بعد ذكر الهمزة تحاشياً للتكرار .

واذا بحثنا في وظيفة (الهمزة) فهي لطلب التصديق كقولك: أقام زيد؟، وأصام عمرو؟ وأزيد قائم؟ وأعمرو صائم؟ أو لطلب التصور كقولك: أدبس في الإناء أم عسل؟ وأفي الخابية دبسك أم في الزق؟ وأقام زيد أم عمرو؟

حيث يُعَدّ مفهوما التصوّر والتصديق من المصطلحات الأساسية في علم المنطق، وقد أفاد منهما البلاغيون في تحليل الخطاب. ويُقصد (بالتصديق) إثباتَ النسبة أو الإسناد في الذهن، أي طلب معرفة العلاقة الحكمية بين طرفَي الجملة.

فحين يقول القائل: «أقام زيد؟» أو «أصام عمرو؟» فهو في الحقيقة يستفهم عن ثبوت القيام لزيد، أو ثبوت الصيام لعمرو، أي يسعى إلى التحقق من وقوع هذه النسبة أو عدم وقوعها. وينطبق الأمر نفسه على نحو ما نراه في قولهم: «أزيد قائم؟» و «أعمرو صائم؟»؛ إذ يُراد بذلك تحصيل التصديق بإثبات المسند إلى المسند إليه أو نفيه عنه.

وأما (التصور) يقصد البلاغيون بالاستفهام التصوّري هو الوقوفَ على حقيقته إدراكاً وتمييزاً عن طريق طلبَ تعيين المفرد الذي يُسنَد إليه الحكم، كالقيام أو الصيام،. ويقتضي هذا النوع من الاستفهام أن تكون النسبةُ الحكمية معلومةً مسبقاً لدى السائل، ومتحقَّقاً من ثبوتها، بينما يظلّ المنسوبُ إليه الحكم بين خيارين أو أكثر، فيسعى السائل إلى تحديده بدقّة عبر الاستفهام.

كقول القائل: أدبس في الإناء أم عسل؟ يشعر أنه متأكد في النسبة وهي نسبة الكون في الإناء إلى أحد شيئين هما دبس وعسل، ولكنه متردد في أيهما كان في الإناء على اليقين فسأل عنه، وكذلك قوله: أقام

زيد أم عمرو؟ فهو متأكد أن القيام قد حصل ولكنه يجهل من صدر عنه القيام ويتردد فيه بين زيد وعمرو فسأل عنه.

وأما (هل) فهي لطلب التصديق فحسب نحو: هل قام زيد؟، وهل عمرو قاعد؟، ولهذا امتنع "هل زيد قام أم عمرو"؛ لأنه طلب التصور ولا يستخدم فيه إلا الهمزة.

انزياح الاستفهام عن الغرض الأصلي، وما رأي البلاغيين فيه

لقد اتفق البلاغيون على أنّ الاستفهام من أكثر الأساليب قابليةً للخروج والانزياح البلاغي، وأنّ خروجه عن دلالته الأصلية يمثل أداةً فعّالة في إثراء الخطاب وإضفاء العمق الدلالي عليه.

ويتحدد المعنى المراد من الاستفهام تبعاً للسياق، والقرائن اللفظية والمعنوية، وما يقتضيه المقام الخطابي من تأثير نفسي أو إيقاعي. يستخدمون الاستفهام بمعناه الأصلي (طلب الفهم)، بل يُحوّلونه بحروفه (هل، الهمزة، كيف، أين...) إلى أداة انفعالية تعبّر عن إنكار، أو تعجب، أو حنين، أو توبيخ، أو تقرير، وفق ما يقتضيه سياق القصيدة ومقام الشاعر النفسي.

الاستفهام بمعنى النفي تارة،فيرى البلاغيون أنّ المتكلّم قد يستعمل صيغة الاستفهام، بينما يقصد نفي الفعل أو استبعاده، كما في قولـــه تعالى: «أَفِي اللهِ شكٌّ...»؛ فالسياق لا يطلب جواباً، بل ينفي إمكان الشك ابتداءً.

وقد يذهب الاستفهام الى معنى التوبيخ أو التقريع، فالبلاغيون وجدوا أن المتكلم قد يلجأ إلى الاستفهام ليلقي اللوم على المخاطَب أو يعنّفه، دون انتظار جواب، كما في قولك لمن قصّر: «أهذا ما طُلِب منك؟».[١]

بينما يخرج الاستفهام الى معنى الإنكار أو الاستبعاد تارة أخرى، ويُستعمل حين يريد المتكلّم إظهار استحالة وقوع الحدث أو بُعده، فيأتي الاستفهام ليُبرز شدة إنكار المتكلم، كقولهم: «أيعقل أن يحدث هذا؟».

---

١) ينظر : شروح التلخيص: ٢/٠٢٩٠

فضلا عن خروج الاستفهام لمعنى التعجّب،فيعدّ التعجب أحد المعاني الثانوية التي قد يخرج إليها الاستفهام، إذ تُستعمل صيغة السؤال لإظهار الدهشة من حدث غير مألوف، مثل:

«كيف تفعل هذا؟».الاستفهام للتمنّي أو الترجي ، يقصد به المتكلّم التعبير عن رغبة أو أمل، لا طلباً للجواب، كما في قول الشاعر:

هل يرجعَنَّ لي أيّاماً مضت؟ فالغاية هنا إظهار التمنّي لا الاستفهام الحقيقي.

والاستفهام التقريرِيّ هو استعمال الاستفهام لحمل المخاطَب على الإقرار بحقيقة ما يعلمها، فيأتي السؤال لتثبيت المعنى في ذهنه. ومثاله:«ألستَ الذي وعد؟».

بينما الاستفهام التحقيقي أو التعظيمي فقد نبّه البلاغيون إلى أنّ المتكلّم قد يستخدم السؤال لزيادة تعظيم أمرٍ ما أو لتأكيد أهميته في ذهن المتلقّي، كقول الشاعر:

أأنتَ الشمسُ طالعةً؟ إذ يُراد إعلاء شأن الموصوف لا الاستفهام عنه.فلا شك في أن الاستفهام يخرج عن أصل معناه، وهو طلب الفهم أو العلم، ولكن هل يخرج خروجا كاملا إلى الحد الذي لا يبقى للاستفهام معنى في التركيب الاستفهامي أو يبقى معنى الاستفهام مع المعنى الذي خرج إليه؟ وهنا اختلف البلاغيون فمنهم من يشعر كلامه بأنه يرى أن الاستفهام يخرج خروجا كاملا عن أصل معناه كالخطيب القزويني ولم يعترض على هذا القول أحد من شراح التلخيص المشهورين بمعنى أنهم يرون ما يراه الخطيب، لأن السكوت عن الاعتراض يدل على الرضى والاقتناع.

ومن البلاغيين من يرى خلاف ما ذهب إليه الخطيب القزويني، وهم يرون أن معنى الاستفهام الحقيقي يبقى مع المعنى الذي خرج إليه، بل الذي عليه المحققون من علماء البلاغة هو أن أدوات الاستفهام تستعمل لمعان بلاغية متعددة بحسب ما يناسب المقام دون أن تنفك هذه الألفاظ من المعاني الموضوعة لها في الأصل.

أما عبارة بعض البلاغيين وهي خروج الاستفهام عن غرضه الأصلي" ففيها نوع من التجاوز إذ لم يتجرد الاستفهام عن غرضه الأصلي تجردا كاملا، بل طغى الغرض البلاغي على الغرض الأصلي. والأصل في الاستفهام البلاغي هو عدم الجواب لفظا ولا تقديرا؛ لأن المقدر كالمذكور؛ يتجرد الاستفهام عن معناه الأصلي الذي يتطلب الجواب إلى معنى بلاغي لا يتصور له جواب في الذهن كالإنكار والاستبطاء والتشويق وغيرها ثم يؤتى بالجواب بعد هذا التجرد، فهذا لا يصح لو كان الأمر كما زعم بعض البلاغيين أن الاستفهام يخرج من معناه الأصلي خروجا كاملا. ولأنه لا يصح أ أن أما الآية التي سبق ذكرها فهي من الأدلة على أن الاستفهام لا يخرج عن المعنى الأصلي خروجا كاملا لورود الجواب عن السؤال في الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ)[١]

ومن ذلك قول مجنون ليلى: [٢]

أمــن أجــل غــربان تصايحن غــدوة ببينونـــة الأحبـــاب دمعـــك ســـافح

نعم، جادت العينـــان مـــني بعـــبرة كمـــا ســـل مـــن نـــظـــم الـــلآلي تطـــاوح

لأن الاستفهام في البيت الأول بلاغي، ثم جاء الشاعر بالجواب (نعم) في البيت الثاني. فورود الجواب مع الاستفهام البلاغي يشير إلى أن المعنى الأصلي للاستفهام موجود ولكن طغى عليه المعنى البلاغي وكساه، اللهم إلا إذا تجرد الاستفهام إلى معنى الاستواء، فهذا تجرد كامل؛ لأنه لا بقاء لمعنى الإنشائية في ذلك التركيب، ولكنه تركيب متحول من الإنشائية إلى الخبرية كقوله تعالى : ((سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ وَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)﴾[٣] .

---

١) سورة البقرة: الاية ٢١٤.

٢) ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، الفجالة. ٩٢.

٣) سورة البقرة : ٦.

التعريف بالشاعر قيس بن الملوح

أن" الاختلاف حول اسم علم من الأعلام المشهورين طبيعة من طبائع العرب، وخاصة الذين اشتهروا بألقابهم أو كناهم، لطغيان الألقاب أو الكنى على الأسماء الحقيقية[١]. شاعر غزلي عذري معروف الملقب بمجنون بني عامر أو مجنون ليلى أو المجنون فحجب اسمه الحقيقي عن الأدباء والباحثين مما حدا بهم إلى الاختلاف حوله، فمنهم من يقول: هو (قيس) او(مهدي) او (معاذ)، ومنهم من قال غير هذه الأسماء، إلا أنني أرى أن الصحيح من هذه الأسماء (قيس) لانفراده بالدليل دون غيره من الأسماء.

ولو وقفنا عند الأصبهاني نجده يقول: "هو على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه – قيس، وقيل: مهدي، والصحيح أنه قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومن الدليل على أن اسمه قيس قول ليلى حبيبته فيه [٢]:

ألا ليــت شــعري والخطــوب كثيرة مــتى رحــل قــيس مستقل فراجــع

فالأصبهاني يقر ويثبت مع الدليل أن اسمه قيس، ولا من عنده دليل كمن ليس عنده من الدليل شيء،

وان أصحاب السير والتراجم يميلون إلى أن الصحيح من الأسماء التي ويلاحظ أن معظم سمي بها اسمه (قيس) بدليل تقديمه على غيره من الأسماء عند سردهم لنسبه، بل صرحالأصبهاني أن الصحيح (قيس بن الملوح)، كما يلاحظ أن أكثرهم يذكر اسمه قيس وقد يذكر اسما آخر، وقد لا يذكر [٣].

---

١) ينظر: ديوان مجنون ليلى: ٢٤.

٢) الأغاني: ٢/٤١٩، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، طبعة خاصة يصدرها الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ) -١٩٦٩م.

٣) ينظر: سير يأعلام النبلاء: ٤/٥، وتاريخ الإسلام: ٥/٢١٤ للذهبي، والأعلام: ٥/٢٠٨، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م. والمؤتلف والمختلف: ٢٨٩.

الاستفهام بالحرف ودلالتها البلاغية

كم حروف الاستفهام؟ وما رأي البلاغيين في هذا الشأن، وماهي الحروف التي تمتاز بالأصالة؟ اختلف العلماء حول الحروف الموضوعة للاستفهام في اللغة، وخاصة من ناحيتي العدد والأصالة، أما من ناحية العدد، فمنهم من جعلها حرفين، ومنهم من عدها ثلاثة أحرف، ومنهم من جعلها أكثر من ذلك. يقول الأنباري: "إن قال قائل: كم حروف الاستفهام؟ قيل ثلاثة أحرف: الهمزة، وأم، وهل، وما عدا هذه الثلاثة، فأسماء وظروف أقيمت مقامها"[١]. ويقول ابن سيدة عن حروف المعاني المكونة من حرفين: "وخمسة من حروف الاستفهام وهي: هل، وأم، وكم، ومن، وما، الاستفهاميتان"[٢] فالملحوظ في قوله أن حروف الاستفهام عنده أكثر من خمسة أحرف، ولكن الذي عليه أكثر الدارسين هو حروف الاستفهام حرفان: الهمزة و "هل".

من حيث الأصالة كم هي حروف الاستفهام ، فمنهم من يرى أن الهمزة هي الحرف الوحيد الذي له أصالة في الاستفهام، ومنهم من يرى أن الهمزة و (هل) هما الحرفان المتأصلان في الاستفهام. يقول سيبويه: "إنها (أي الهمزة) حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره"[٣]. ويرى أن (هل) بمعنى (قد) في الأصل، بمعنى أنها ليست متأصلة في الاستفهام.ويقول الخليل: "(هل) – خفيفة – استفهام، تقول: هل كان كذا وكذا؟ وهل لك في كذا وكذا؟ وقول زهير:

---

١) أسرار العربية: ١٩٣، عبد الرحمن بن فهد بن عبيد الله الأنباري، تحقيق فهد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ) –١٩٩٧م.

٢) المخصص: ٦/٤٧٣، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م– الحميد أحمد١٤٢٦هـ) .

٣) الكتاب: ١/٩٩، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام مهد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ) /١٩٨٨م.

وذي نســـب ناء بعيــد وصـــلته بمالــك لا يــدري أهــل أنــت واصــله؟

اضطرار؛ لأن (هل) حرف استفهام وكذلك الألف ولا يستفهم بحرثي استفهام"[١] .أن الهمزة و(هل) حرفان متأصلان في الاستفهام. بمعنى أما قول سيبويه الذي ينص فيه على أن الهمزة هي حرف الاستفهام الذي لا يزول إلى غيره

فيرده قول امرئ القيس [٢]:

أفاطم مهــلا بعــض هــذا التدلل وإن كنــت قــد أزمعــت صــرمــي فــأجملي

أراد الشاعر: يا فاطم مهلاً، فجاءت الهمزة للنداء.

وأما (أم) فهناك اختلاف بين العلماء حولها، فمنهم من يرى أنها حرف عطف واستفهام، ومنهم من يرى أنها بمعنى همزة الاستفهام، ومنهم من يرى أنها لا تكون إلا استفهاماً.

قال سيبويه : "(أم) بمنزلة الألفأي همزة الاستفهام"[٣].وقال المبرد: "فأما (أم) فلا تكون إلا استفهاماً "[٤]. وذكر ابن فارس أن طائفة من أهل العربية قالوا: إن في"(أم) معني العطف، وهي استفهام كالألف إلا أنها لا تكون في أول الكلام؛ لأن فيها معنى العطف".

---

١) كتاب العين: ٣/٣٥١، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي.

٢) ديوان امرئ القيس: ١٢، تحقيق فهد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ج. م. ع، الطبعةالرابعة.

٣) الكتاب: ٣/١٨٩.

٤) المقتضب: ٣/٢٨٦، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق فهد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ١٤١٥هـ) - ١٩٩٤م.

المطلب الأول: الاستفهام بالهمزة ودلالتها البلاغية

كانت (الهمزة) أم باب الاستفهام كما كانت (إن) أم باب الشرط، وهي أدوات الاستفهام في الباب، وأوسع استعمالا وتصرفا في الاستفهام من بقية الأدوات، ولذلك كانت لها خصائص لم يشاركها فيها غيرها:

الأولى: أنها يجوز حذفها مع بقاء معناها، سواء تقدمت على (أم) أم لم تتقدمها، ومما تقدمت فيه على (أم) قول عمر بن أبي ربيعة[١]:

بدا لي منهـا معـصـم حـيـن جمـرت وكـف خـصـيب زينـت بـنـان

فـــــوالله مـــا أدري وإني لحاســب بســمع رميــت الجمــر أم بثمــان؟

أراد: أبسبع؟ ومما لم تتقدم فيه على (أم) قول الكميت[٢]:

طربـت ومـا شـوقا إلى البيض أطـرب ولا لعبـا مـني وذو الشـيب يلعـب؟

أراد: أو ذو الشيب يلعب؟

الثانية: أنها تدخل على الإثبات: أزيد قائم؟وعلى النفي نحو قوله تعالى((ألم نشرح لك صدرك)) [٣].

الثالثة: أن لها تمام التصدير بدليلين: أحدهما: أنها لا تذكر بعد أم التي للإضراب كما يذكر غيرها، لا تقول: أقام زبد أم أقعد، وتقول: أم هل قعد.

والثاني: أنها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير نحو وأخواتها تتأخر عن حروف العطف نحو.

---

١) ديوانه: ٢٠٩، دار القلم، بيروت، لبنان.

٢) شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي: ٤٣، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم، والدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ) – ١٩٨٤م.

٣) سورة الشرح: الآية (١)

الرابعة: أنها تستعمل لطلب التصور نحو: أزيد قائم أم عمرو؟، كما تستعمل لطلب والتصديق نحو: أزيد قائم؟ في حين كانت (هل) تختص بطلب التصديق فقط نحو: هل قام زيد؟، وبقية أدوات الاستفهام تختص بطلب التصور فقط نحو: من جاءك؟ وما صنعت؟ وكم مالك؟ وأين بيتك؟ ومتى سفرك؟[١].

من المعاني البلاغية التي تخرج إليها الهمزة:

تستخدم الهمزة لمعان بلاغية كثيرة يتعذر حصرها سوى وظيفتها الأصلية، طلب التصديق أو طلب التصور، ومن أبرز هذه المعاني البلاغية الإنكار والتقرير والتوبيخ والتعجب، ولكن الإنكار كان له قصب السبق بين هذه المعاني في الكثرة، بل هو أبرز المعاني البلاغية التي تراد من الهمزة، وأكثرها شيوعاً إذ لا يخلو القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الأدب العربي من وفرة استخدام همزة الاستفهام، ومتى أريد بها معنى من المعاني البلاغية كان الإنكار أكثرها.

ففي سورة البقرة مثلاً، وردت همزة الاستفهام ستاً وعشرين مرة وأغلب المعاني البلاغية التي أريد بها هو الإنكار وكذلك الأمر في سورة آل عمران حين وردت همزة الاستفهام عشر مرات وكان أبرز المعاني البلاغية التي أريد منها الإنكار، وكأن همزة الاستفهام لم توضع لمعنى بلاغي سوى الإنكار، مثل قوله تعالى: « قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء))[٢]، وقوله عز من قائل:((قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير »[٣]، وقوله تعالى: (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)[٤] وقوله تعالى: « قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأرذلون))[٥].

---

١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/٥٢، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٢٥.
٢) سورة البقرة ١٣.
٣) سورة البقرة ٦١.
٤) سورة آل عمران ٨٠.
٥) سورة الشعراء ١١١.

ومن أبرز شواهد الحديث النبوي الشريف على إرادة الإنكار من همزة الاستفهام قوله لأسامة بن زيد: «أتشفع في حد من حدود الله»[١]؟ وقوله: يا أسامة، «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله»[٢]؟ ومن أبرز شواهد النص الأدبي التي وردت فيها همزة الاستفهام بمعنى الإنكار قول امرئ القيس [٣]:

أيقتلـــــني والمشـــــرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنيـــــاب أغــوال

ومثله قول الشاعر: [٤]

ألستم خـــيـــر مـــن ركـــب المنـــايا وأنـــــــــدى العـــــــالمين بطـــــــون راح

فالهمزة التي وليها نفي تفيد النفي والإنكار، وليس بينهما فرق (أعني النفي والإنكار) سوى ما في الإنكار من الشدة والغلظة والفظاظة، فأصبح اجتماع النفيين إثباتا، والإثبات هو بمعنى التقرير الذي استنبطه العلماء من كل همزة مقرونة بنفي، ولا يعني أن التقرير لا يفهم من الهمزة إلا إذا كانت مقرونة بنفي، بل ترد الهمزة غير مقرونة بنفي ويراد منها التقرير كقوله تعالى: { قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا إبراهيم } [٥] للتقرير بأن إبراهيم الفاعل.

١) صحيح البخاري: رقم ٣٤٧٥، ص٦٢٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ) - ٢٠٠١م.
٢) صحيح البخاري: رقم ٤٢٦٩، ص٧٥٢.
٣) ديوان امرؤ القيس: ٣٣.
٤) ديوان جرير: ٧٧، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٦هـ) -١٩٨٦م.
٥) سورة الأنبياء: الآية (٦٢) .

وقد أصاب التفتازاني في رأيه حين يقول: "وأما غير الهمزة فيجيء للتقرير والإنكار ولكن لا يكثر كثرة الهمزة"[١]، وإذا كان الأمر كما أسلفنا، أصبح الحديث عن المراد بالإنكار، ووسائل الوقوف على أن الهمزة تفيد الإنكار عند ورودها في النص من الأهمية بمكان، مما قد يخفى على بعض الدارسين خاصة المبتدئين منهم فيظن أن الهمزة تفيد الإنكار وهي لغيره من الأغراض البلاغية.

ما المراد بالإنكار؟ قال ابن فارس: "النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه"[٢].

وقال ابن منظور: " الإنكار: الجحود. فالإنكار للشيء خلاف الاعتراف به، فإذا أنكر الإنسان شيئا فإن ذلك يدل على أنه نافر منه راغب عنه لأنه لا يعرفه ولم يألفه. وأرى أن الإنكار نوعان: إنكار الذوات وإنكار الأحداث ؟ فإنكار الذوات (الأشخاص والأعيان) هو النفور منها والرغبة عنها لعدم الألفة والمعرفة، وإنكار الأحداث هو عدم قبولها وعدم الاعتراف بها[٣].

ويقسم البلاغيون الإنكار إلى أربعة أوجه [٤]: الأول: الإنكار التوبيخي على أمر وقع في الماضي، (ما كان ينبغي أن يكون) نحو: أعصيت ربك؟ الثاني: الإنكار التوبيخي على أمر واقع في الحال أو خيف

---

١) مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: شروح التلخيص: ٢/٢٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/٥٨١، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ) -١٩٩٩م.

٣) ينظر : لسان العرب: ١٤/٠٢٨١

٤) ينظر: الإيضاح: ١/٢٣٦، وينظر: علم المعاني: ١٠٢، عبد العزيز عتيق.

وقوعه في المستقبل، بمعنى، لا ينبغي أن يكون كقولك لرجل يركب الخطر: أتخرج في هذا الوقت؟ الثالث: الإنكار التكذيبي في الماضي، بمعنى (لم يكن) كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَنَكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الملائكة اناثا) [١] الرابع: الإنكار التكذيبي في الحال أو المستقبل بمعنى (لا يكون) نحو قوله تعالى أَنُلزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَرِهُونَ)[٢] .

الاستفهام بالهمزة عند قيس بن الملوح ودلالتها البلاغية

أولاً: الإنكار

يلاحظ أن الهمزة أكثر أدوات الاستفهام عند شاعرنا قيس بن الملوح إذ بلغت المواضع التي جرى فيها على لسانه الاستفهام بالهمزة ما لا يقل عن خمسة وستين موضعاً، كما يلاحظ أن الإنكار أبرز المعاني البلاغية التي يخرج إليها الهمزة في هذه المواطن وقد يتبعه معان بلاغية أخرى مثل **قال الشاعر** :[٣]

أَأَزعُمُ أَنّي عاشِقٌ ذو صَبابَة بِلَيلى وَلا أَبكي وَتَبكي البَهائِمُ

كَذَبتُ وَبَيتِ اللَهِ لَو كُنتُ عاشِقاً لَما سَبَقَتني بِالبُكاءِ الحَمائِمُ

يستنكر عدم البكاء على نفسه والمخاطب الاستنكار جاء كي يسبعد او يستحيل اي موقف يتبناه المخاطب للاقناع او الدفاع به، وقوله [١]:

---

١) سورة الإسراء : ٤٠.
٢) سورة هود: ٠٢٨
٣) الديوان ١٣٠

أتاركـــــــــي للمـــــوت إني لميــت ومـــا للنفــوس الهالكــات بقــاء

فالشاعر ينكر على محبوبته ليلى بتلطف وتودد أن تتركه يموت في هوة المحبة، وهو ميت لا محالة إذ كل النفوس ذائقة الموت والهلاك، فالاستفهام يكشف عن الألم الشديد والحزن الجسيم الذي يعانيهما الشاعر حتى صاح بأعلى صوته منكراً على ليلى أن تتركه للموت، وكأن الألم يزداد ثانية بعد ثانية حتى أحس الشاعر بأنه سيموت عما قليل إن لم تنجده ليلى وتنقذه، وقال ايضا [٢]:

أأترك ليلى لــيس بيني وبينها سوى ليلــة إني إذن لصور

ينكر ابن الملوح أن يقع منه هجران لليلى المحبوبة إلى نفسه، ولم يمض بينهما سوى مسيرة ليلة، لو قال قائل: كيف يكون الاستفهام للإنكار مع أنه ليس ثمة أحد يأمره بترك ليلى؟ ومعلوم أن الإنكار لا يكون إلا بعد أمر مسبق أو ادعاء أو غير ذلك، قلت: لأن إباء قومه أن يعدلوا معه يشعر أنهم يأمرونه بترك ليلى، كما يعبر الاستفهام عن التعجب حال نفسه، ويكشف عن الحوار الداخلي الكامن في نفس الشاعر كأنه يحدث نفسه فيقول: كيف أترك ليلى وليس بيني وبينها سوى ليلة واحدة فقط، إذن، إن تركتها فأنا صبور على الحب، وتركها أمر عجيب ويقول الشاعر [٣] :

أحــن إلى أرض الحجــاز وحــاجتي خيــام بنجــد دونهــا الطــرف يقصــر

١) الديوان: ٤١
٢) الديوان:١٣٩
٣) الديوان : ١٣٣

وما نظري مـــن نحـــو نجـــد بنافعي أجـــل، لا، ولكـــنـــي علـــى ذاك أنظـــر

أفي كل يوم عرة ثم نظرة لعينـــك يجـــري ماؤهـــا يتـــحـــدر

فالشاعر ينكر على نفسة العبرات والنظرات اليومية ويوبخها عليها؛ لأن عينه تتقطر دمعا، وتتطلع إلى أرض الحجاز طمعا، علمه أن ليس من وراء العبرات والنظرات طائل يعود على نفسه، فالاستفهام يكشف عن الحزن والكآبة والشوق والتوق والحنين إلى المحبوبين. فكلمة (ثم) ترمز إلى أن الحزن الذي دلت عليه العبرات أشد في قلب الشاعر من الشوق الذي أشارت إليه النظرات، ومما يدل على ذلك تأكيد العبرات بقوله: (يجري ماؤها يتحدر). هذا، ولا يخفى أن الشعر صورة ومرأة لما يجيش في الصدور من الهواجس والعواطف فتتدفق على لسان الشعراء، كما لا يخفى أن قيس بن الملوح مشهور بعاطفة الحب العذري العفيف، ومن هنا نتساءل، ما العلاقة بين الإنكار والغرام؟ وإذا كانت هناك علاقة بينهما فلماذا كان صاحب الحب الشديد كثير الإنكار في أشعاره؟

.ثانيا: التقرير

الاستفهامات الصادرة من الشاعر بالهمزة التقرير، وهي معان بلاغية انطوت في كثير من خطاباته الشعرية، ومنه قوله: [١]

---

١) الديوان ١٧٦

اتهجر بيتا للحبيب تعلقت به الحب والاعداء أم أنت زائره

يطرح الشاعر ابوابا محتملة وامكانات دلالية يتضمنها سؤالا استفهاميا مستندا الى مافيه من دلالات ضمنية تمنح الخطاب اقناعا مهما وتقريرا واضحا فهو على الرغم من اظهاره الخطاب لنفسه فهو يخاطب الذات ماهي علاقة العاشق بحبيبته ومايتضمنه من افتراضات عدة فقرار الابتعاد والهجر ليس مجهولة لكنه عسير على الشاعر لتداركه ومبادلة مشاعر الصد رغم اعترافه واقراره بان المخاطب هو سبب الوجود وبدونه تعسر الحياة وتصعب. وقال ايضا: [١]

ألم تعلمي اني اهيم بذكركم على حين لايبقى على الوصل هائم

يريد الشاعر من هذا السؤال ان تقر وتتبنى شعوره وتعترف بوده ووفائه بعيدا عن التشكيك وهذا مايطمح له الشاعر باستفهامه وهو الاعتراف . يقول الشاعر : [٢]

يقولون لو عزيت قلبك لاروعى فقلت : وهل للعاشقين قلوب

هنا يريد الشاعر من استفهامه ان يضع المخاطب بموضع الضعف والانتصار بالاعتراف بمحل الضعف وهو اقرار واضح وصريح فان القلب تعلق واصبح مجرد من قلبه لايملك لنفسه سلطة تغييره، فالشاعر يجر المتلقى الى خلاف اعتقاده او التنكر لرأيه [٣].ومثل قوله [١]:

---

١) الديوان ١٦٩.

٢) الديوان ١٣١

٣) ينظر : عبد اللطيف عادل بلاغة الاقناع في المناظرة ، ٢١٨.

أليس من البلوى التي لا شوى لها بأن زوجت كلبا وما بذلت ليا

يقر اقرارا الشاعر بأن من البلوى التي لا يمكن وصفها والبراء منها تزويج ليلى برجل سواه، والتقرير مقرون بالحزن والتلهف على فوات ليلى منه وزاجها برجل سواه، فاستخدم أسلوب الاستفهام ليكون الإقرار أبلغ، وكأنما يقرره حقيقة لم يتطرق إليها شك ولا ريب، وكأنه يزعم أن الجواب بلا شك سيكون بـــ (بلي) من كل السامعين، ويميط الاستفهام اللثام عن بعض المعتقدات عند الشاعر إذ يعتقد أن زواج ليلي برجل سماه كلباً مصيبة وبلية. وفي موطن آخر يقول (٢):

ألم تعرفـــــــــــوا وجهـــا لليلـى شـــــعاعه إذا بـــرزت يغـــني عـــن الشـــمس والبـــدر

فالاستفهام في هذا النص يوظفه الشاعر للتقرير بأن أصحابه عرفوا ما لوجه ليلى من الرونق والتلألؤ والجمال، ولكن مقتضى معرفتهم لا يحدث وهو عدم اللحي واللوم على الهوى، فأنكر عدم معرفتهم ليكون إثباتا وإقراراً بأنهم عارفون، وتنكير الشاعر لكلمة (وجه) فيه نوع من التعظيم والتبجيل لوجه محبوبته فيعده أجمل من الشمس والبدر كما يعد نور وجهها أشد تألقاً من نورهما.ويقول(٣):

١) الديوان: ٣٠٨
٢) الديوان ١٥٤.
٣) الديوان ٢٣٧.

ألم تعلمـــي أني أهـــم بـــــــذكرها على حين لا يبقى على الوصـــل هـــائم

فالشاعر يقرر بأنه لا يخفى على ليلى هيامه بذكرها، وما يقاسيه من العذاب من أجل الحب في حين لا يبقى على الوصل هائم معذب، فالاستفهام يكشف عن خطورة ما يتجشمه الشاعر في سبيل الحب وغرابتها، لأنه لا يزال بذكر لىلى أنه لا هائم يبقى على الوصل. ويقول الشاعر في نص آخر [١]:

شقيت سمامـــا مـــن غـــراب فإنما تبينت ما حاولت إذ أنت واقع

ألم تـــر أني لا محـــــب ألومـــه ولا بـــــــــــيل مـــــــــــنهم أنا قـــــــانع

فالشاعر يقرر بأن الغراب على علم بدأبه وديدنه مع المحبين، وذلك أنه لا يلوم محبا على حبه ولا يقنع ببديل عن الحبيب الاول، وجاء الاستفهام عن الرؤية والعلم؛ لعدم حدوث مقتضاها، وهو صدور بعض التصرفات من الغراب وكأنه لا يعلم ديدن الشاعر ودأبه مع المحبين. ويقول الشاعر قيس [٣]:

بربـــــــك أخـــــــبرني ألم تأثم الـــــتي أضر بجســـمـــي مـــن زمـــان خيالهـــا

يقرر الشاعر بأن صاحبة الخيال الذي أضر بجسمه أئمة، والاستفهام يكشف . الشاعر في حمل الإثم والذنب على صاحبة الخيال الذي أهزل جسمه وأضره، وهذا الاعتقاد غير سديد لأن صاحبة الخيال والشبح ليست قادرة على أن تأمر الخيال بالإضرار، وكيف يحمل ذنب الخيال على صاحبته؟ مع أنني أعتقد أنه ليس ثمة خيال أضر بجسم الشاعر، ولكن الشاعر يتصور أن ما أصابه من الهزال والمرض يصدر من حب ليلى وغرامه لها.

---

١) الديوان ٢٦٦.

المطلب الثاني: الاستفهام ب"هل" ودلالتها البلاغية

ستطرق البحث إلى الخلاف الوارد عن العلماء مسبقا فيما يخص " هل " وأنها ليست لها أصالة في الاستفهام وأنها بمعنى "قد" ثم رد عليهم البعض الآخر بأن (هل) أصيلة في الاستفهام، كما سبق الإشارة إلى أن هذه المسألة لغوية وليست بلاغية، وأما الذي يهمنا فهو المعاني البلاغية التي يخرج إليها "هل" فضلا عن وظيفتها الأصلية التي هي طلب التصديق.

ابن هشام يقول: (هل) "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي، دون التصور، ودون التصديق السلبي، فيمتنع نحو: (هل زيد قائم أم عمرو) إذا أريد ب(أم) المتصلة، ونحو: (هل لم يقم زيد؟)"[١].

الفرق بين (هل) والهمزة تختلف هل من الهمزة من عشرة أوجه:

أحدها: اختصاصها بالتصديق تقول: هل قام زيد؟، ويمتنع: هل زيد قائم أم عمرو؟

والثاني: اختصاصها بالإيجاب تقول: هل زيد قائم؟ ويمتنع: هل لم يقم زيد بخلاف الهمزة

نحو قوله تعالى: { ألم نشرح لك صدرك)[٢]، وقوله تعالى: { ألن يكفيكم } [٣]، وقوله تعالى:

أليس الله بكاف عبده)[٤]

---

١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/٤٨٨.
٢) سورة الشرح: ١
٣) سورة آل عمران: ١٢٤.
٤) سورة الزمر: ٣٦.

والثالث: تخصيصها المضارع بالاستقبال نحو هل تسافر بخلاف الهمزة نحو أتظنه قائماً؟ والرابع والخامس والسادس: أنها لا تدخل على الشرط ولا على إن ولا على اسم بعده فعل في الاختيار بخلاف الهمزة بدليل و أفإين من فهم الخلدون [١]، و أين ذكر بل أَنتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) [٢] و(أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ) [٣] و (أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ) [٤].

والسابع والثامن: أنها تقع بعد العاطف لا قبله، وبعد أم نحو قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ).[٥]

التاسع: أنه يراد بالاستفهام بها النفي ولذلك دخلت على الخبر بعدها إلا في نحو: ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسن »

والعاشر : أنها تأتي بمعنى قد وذلك مع الفعل وبذلك فسر قوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر).[٦]

---

١) سورة الأنبياء: ٣٤.
٢) سورة يس ١٩
٣) سورة يوسف: ٩٠
٤) سورة القمر: ٢٤
٥) سورة الأحقاف: ٣٥.
٦) سورة الانسان : ١

الاستفهام بالحرف(هل) عند قيس بن الملوح ودلالتها البلاغية

تأتي بعد الهمزة في كثرة استخدامات "هل" في الخطابات الشعرية حيث جرى على لسانه ما لا يقل عن ثمان وأربعين مرة، ولا غرو في ذلك؛ إذ إنهما (أي الهمزة وهل) الحرفان الموضوعان للاستفهام في اللغة ويشتركان في وظيفة طلب التصديق.

وبشأن أهم المعاني البلاغية التي تخرج إليها استفهامات الشاعر ب"هل"، وأكثرها شيوعا وترداداً على لسانه فهو التمني والنفي والرجاء.

وقد لوحظ على الشاعر أنه كثيراً ما يتمنى في أشعاره أموراً عزيزة المنال، مستخدما "هل" ليبرز المتمنى المستحيل في صورة الممكن القريب الحصول، وهو يعلم أن ما يتمناه مستحيل وبعيد المنال، ولكنه يتجاهل ذلك ويدعي أنه قريب الحصول لشدة الولع وحرارة الطمع في الحصول على المطلوب. فالتمني متطابق مع حالته الشعورية لأنه محروم عن محبوبته ومحجوب من وصالها، فيتمنى أمورا مستحيلا وقوعها. ومن ذلك قوله وهو يسير هائم على وجهه فقال:[١].

شكوت إلى سـرب القطـا إذ مـررن بي فقلـت ومثلـي بالبكـاء جـدير

أسـرب القطـا هـل مـن معـير جناحـه لعلـي إلى مـن هـويـت أطـير

١) الديوان : ١٣٧

أمران يضعنا الشاعر أمامهما عن طريق استفهامه بهل، الأول: الوسيلة، وهي أن الشاعر يتمنى أن يعيره طائر من سرب القطا جناحه، والثاني الغاية، فهي أنه يتمنى أن يطير بالجناح المستعار إلى محبوبته، ولم يتمن الشاعر باللفظ الموضوع للتمني (ليت) في الموضعين، بل تمنى ب(هل) الذي وضع للاستفهام في الشطر الأول كما تنمى ب(لعل) الذي وضع للرجاء في الشطر الثاني.

ولوحظ أن الأمرين مستحيلان، فلا يمكن أن يعيره طائر من القطا جناحاً كما لا يمكن أن يطير إلى المحبوبة ولو كانت بين يديه أجنحة متعددة، والغرض البلاغي المنشود من وراء التمني بلفظتي (هل) و(لعل) هو إبراز المتمنى المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به والشوق إليه، فهذه دلالة على أن الشاعر شديد الشوق والحنين إلى محبوبته. وقوله: [١]

خليلـــي هـــل قيظ بنعمـــان راجـــع لياليـــــــه أو أيامهـــن الصـــوالح

فالاستفهام يفيد التمني ويكشف عما يكمن في نفس الشاعر من غريب الشوق وعجيب التمني، لأنه كيف يتمنى أن يرجع القيظ والحر الشديد؟ وفيه ما فيه من الضرر والألم، ويبدو أن الأيام الصالحة الهنية التي قضاها الشاعر بواد نعمان، هي التي نزعت منه الإحساس بأن القيظ حار، ولا يبالي ما يقاسيه من المضرات في لياليه مادامت مقرونة بالأيام الصوالح. وقوله [٢] :

---

١) الديوان : ١٤٠

٢) الديوان : ٨١

فيـــا عقـــب الأيام هـــل فيـــك مطمع لرد حبيـــب أو لـــدفـــع كـــروب

فالاستفهام يعبر عن التمني؛ لأن المخاطب غير عاقل، والشاعر يتمنى أن يكون في الأيام الآتية مطمع لإرجاع حبيبه إليه أو لإبعاد كروبه وهمومه عنه، ويبرز من خلال الاستفهام ما يجيش في نفس الشاعر من الشوق إلى حبيبه، والحنين إليه، والجزع من الكروب والآلام، مما يجعله يطلب المستحيل من الأيام الآتية المتعاقبة، مع علمه أنها لن ترد إليه الحبيب أو تدفع عنه الكروب والأسى. أما قوله: "لرد حبيب أو لدفع كروب" فمقابلة أو طباق عند علماء البديع. ويقول شاعرنا [١]:

ألا يا ركيـــات الرسيس –علـــى الـــبـــلا سقيتن– هـــل في ظلكـــن شـــجون

فالاستفهام في النص يفيد التمني؛ لأن المخاطب غير عاقل، والشاعر يتمنى أن يجد شجونا قائمة بجوار آبار الرسيس، وقد دعا لهن بالسقيا في أيام مصيبة الجدب قبل الطلب، ليكون تمهيداً جميلاً يحث المخاطب على الجود بالمطلوب

وفي النفي ومن الدلالات البلاغية التي يفهم من الاستفهام الصادر من الشاعر ب "هل" النفي مثل قوله: [٢]

---

١) المصدر نفسه : ٣١٢

٢ الديوان ٢٤٠

يقولون لــو عزيــت قلبــك لارعــوى فقلــت وهــل للعاشقين قلــوب

فالشاعر ينفي أن يكون للعاشقين قلوب يعقلون بها، بعد أن نصحه العاذلون وقالوا: لو حاولت تعزية قلبك لرجع وتعقل، فأنكر عليهم هذا القول وتعجب من نسبة القلب إليه وهو من العاشقين، فنفى عن العاشقين قلوباً، أي القلوب التي يعقلون بها وليست قلوباً على الإطلاق ويقول الشاعر:

وكيــف يطيــق الــصــب كتمــان ســره و هــل يــكــتم الوجــد امــرؤ وهــو مــغــرم

فالاستفهام ب (هل) في الشطر الثاني يتضمن النفي، وجاء معززاً ومؤكداً للإنكار الذي ورد في الشطر الأول بـــ(كيف)، والمعنى أنه لا يكتم الوجد والحب إنسان مغرم.

فالاستفهام يخرج النص من الخبر إلى الإنشاء، ويحوله من السرد إلى الحوار، وكأن الشاعر يحاور إنساناً ويسأله: هل رأيت إنسانا مغرما استطاع أن يكتم الغرام؟ فيجيبه بـــ (لا).ويقول الشاعر: [١]

وكنت إذا ما جئــت قلــت لهــا اســلمي فهــل كــان في قــولي اســلمي مــا يضيرها

فالشاعر ينفي أن يكون في قوله (اسلمي) ما يضر ليلى، فالاستفهام يتضمن النفي المقرون بالتعجب؛ لأنه يبدو أن ليلى تبرز للشاعر تصرف المضرين بعد قول الشاعر: (اسلمي)، فيتعجب الشاعر من ذلك، وينفي أن يكون الضرر ناتجاً من القول.

---

١) المصدر نفسه : ١٤٠

الخاتمة

مقاصد عديدة انبثقت من الاستفهام حقيقي وآخر ضمني في شعر قيس بن الملوح، فالطاقة الجمالية غالبا ما تظهر على الضمني لا على المصرح به مما يجعل من استفهامها فضاءً واسعا لمعانيه ضمن حرفي الاستفهام في بشعره.

ــ اضهرت "الهمزة" انتشارا وكثرة استخداما مقارنة بـــ "هل" في خطاباته الشعرية حيث جرى على لسانه ما لا يقل عن ثمان وأربعين مرة، ولا غرو في ذلك؛ إذ إنهما (أي الهمزة وهل) الحرفان الموضوعان للاستفهام في اللغة ويشتركان في وظيفة طلب التصديق.

ــ الإنكار كان من أبرز المعاني البلاغية التي تخرج إليها همزة الاستفهام في التراث العربي ، وأبرز المعاني البلاغية التي تخرج إليها الهمزة عند قيس بن الملوح ايضا ، كما أشار البحث إلى أن الهمزة أكثر أدوات الاستفهام وروداً في لسان الشاعر قيس بن الملوح.

ــ مايميز خصائص الاستفهام عند قيس بن الملوح هو أن الاستفهام كان التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن الإحساس بالحزن والكآبة واللوعة والحسرة والشوق والحنين إلى المحبوبة مرة .وعن التعجب الذي أصبح ضربا من ضروب الحسرة واللوعة عنده ويختلف عن التعجب التقليدي الذي غالبا ما يكون التعجب على الإطلاق مرة اخرى.

ــ وبشأن أهم المعاني البلاغية التي تخرج إليها استفهامات الشاعر ب"هل"، وأكثرها شيوعا وترداداً على لسانه فهو التمني والنفي والرجاء.

٤. جرى توافق بين قيس بن الملوح والشعراء الرومانسيين في العصر الحديث، والذي يتمثل في لجوء الشاعر الى الظواهر الكونية في إطار الاستفهام ، والذي يعد ظاهرة بارزة عند الشعراء الرومانسيين.

المصادر و المراجع:

- القران الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن أبوبكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢. أسرار العربية: ، عبد الرحمن بن فهد بن عبيد الله الأنباري، تحقيق فهد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٣. بلاغة الاقناع في المناظرة ،عادل عبد اللطيف، دار الأمان، الرباط ، المغرب ،٢٠١٣.

٤. البلاغة العربية: أ. د. د. حسني عبد الجليل يوسف، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، -٢٠١٢م.

٥. التلخيص في علوم البلاغة: ، للخطيب القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

٦. ديوان امرئ القيس: تحقيق فهد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ج. م. ع، الطبعة الرابعة.

٧. ديوان البارودي : تحقيق علي الجارم بك ومحمد شفيق معروف ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦١-١٩٤٢.

٨. ـــ ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، الفجالة. ٩٢.

٩. شرح هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي: بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم، والدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

١١. صحيح البخاري: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢. علم المعاني: عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م. ٤٤.

١٣. العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق الدكتور مفيد محمد ، قميحة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م.

١٤. فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي ، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

١٥. الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام مهد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٦. كتاب العين: ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي.

١٧. لسان العرب: ، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م-

١٨. مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: شروح التلخيص: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م- الحميد أحمد١٤٢٦هـ.

٢٠. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢١. المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق فهد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٢. مغني لبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق بركات يوسف هبود ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

٢٣. مفتاح العلوم للسكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م .